

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

التوحيد

وعدم الشرك بالله

العارف بالله

مولانا

فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاشين

رحمه الله ورضي عنه

وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي الموحّد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل
الله لي ولأخي المؤمن ولعامّة المؤمنين وخاصّتهم التوفيق
والسداد بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينات
ولكنها لم تنشر إلى الآن سيعجب أخي ويقول أين كان
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله و يقولون ما قاله مولانا
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه
عن المسلمين خير الجزاء •

الشيخ أبي فراس الشيباني رحمه الله (شريط الكاسيت)
كلماته . هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن الله
عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم .
فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت
أضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار
الكواكب تنكدر . وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها .
فأنوار الكواكب تبيدي إلى الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه
تبيدي إلى الله .^(١)

وهكذا وبعد أن إستمع أخي الطبيب إلي ما استمع نسي وقته
فسير ليله وإعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه
الإشراقات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم حينما قال (رَبِّ مُبَلِّغٌ أَوْحَى مِنْ سَامِعٍ) .
هداني وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعني وإياك على صراطه
المستقيم وفي جنة (عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)
صدق الله العظيم .

^١ تصنف المتن لابن عطاء الله كندري .

رجاء و اعتذار

أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن (تستمع إلينا بأذنك)
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها
أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ،
و كنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ،
حتى قيض وهياً الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل • ونحن بدورنا
شد الله أزرنا ووجهنا إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من
السماء بنشر هذا العلم الجليل •

هذا : وبعد ممارستنا لهذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين
من ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه بين
أيديهم •

لقدّم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو استطراد ، أو ضعف
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث
تختلف كثيراً عن المحاضرة ، لإختلاف مستويات السامعين ،
وتفاوت مداركهم ، و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من
يتصدي للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها • ، بل وكانت

الأسئلة أحياناً تدفعه (رضي الله عنه ورحمه) إلى أن يخرج
عن الموضوع ذاته وحرصاً منا علي المحافظة علي (الهيكل
العام للدرس) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم
نحذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان
قد إستمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من
يتصدي لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل اللهم . لما حذف
كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته
نوراً وإخلاصاً فمعذرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعلنا
ونفعهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما
أفاض الله علي الشيخ (رحمه الله) من علم .
وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان
التوفيق فهو من الله وحده / وحده ، وحده . وإن كان غير
ذلك نقول لأخينا القارئ (فاصفح الصفح الجميل) .
وما توفيقنا إلا بالله

أمل ورجاء

نأمل بمشيئة الله حينما يوفق أخونا إلي تسلم نسخة
من هذه الكتيبات ألا نقف بهذا العلم عند القراءة
وكفي .

بل كل ما نأمله لنا ولإخواننا القراء جميعاً أن
يتحول العلم إلي سلوك وممارسة حسب توفيق الله
لنا .

كما نرجو أن تنقل هذه المفاهيم إلي إخواننا
المؤمنين إما مشافهة ، أو بتبادل القراءة .
والله ولي التوفيق ،،،

١١- التوحيد وعدم الشرك بالله

(من المعاني التي يدور حولها الدرس)

(١) إن من أكبر ما مَنَّ الله به علي عباده المؤمنين أنه أنزل القرآن متدرّجاً حيث تلقاه سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم من سيدنا جبريل عليه السلام . وفي هذا اللطف مالا يخفي علي أحد ، ولا ننسي ما كان يحصل لسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم من ثقل في جسده ومن تَفَصُّده عرقاً .

(٢) لا يوصف العمل بالصلاح إلا إذا كان علي طريقة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ومنهجه (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) .

(٣) من القضايا الإيمانية : أن العمل من أجل الناس شرك . وترك العمل من أجلهم شرك .

(٤) الشرك أنواع : (أ) الشرك في العقيدة وهو أخطرها (ب) الشرك في العمل . (جـ) الشرك في تطبيق الأحكام الشرعية .

(٥) آية عبادة تصدر من المسلم فعليه أن يقدمها **لربه** في
طبق الاعتذار والانكسار .

(٦) علي المؤمن أن يوقن يقيناً جازماً بأن أقل شرك يبطّل
عمل صاحبه . (**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدينَ حُنَفَاءَ**) .

(٧) شرك القلب أربعة : (١) أن تجعل لله نداً . وهو أخطر
أنواع الشرك (٢) الإصرار علي المعاصي - (٣) اليأس
من رحمة الله (٤) الأمن من مكر الله .

(٨) ما في الآذان من معان سامية ، وإيمان عميق .

(٩) واجب علي المؤمن حينما يقبل علي الصلاة .

أن يكون مع الله مشاهدة ، ومع سيدنا رسول الله صلي
الله عليه وسلم اتباعاً و اقتداءً ، ومع الرسل عليهم
السلام إيماناً ومع الملائكة شهوداً (**كِرَامًا كَاتِبِينَ**) ومع
الإيمان باليوم الآخر شهوداً كما وضع ذلك سيدنا
حارثة رضي الله عنه .

(١٠) المسلمون اليوم في صلاتهم مع الأمر . وليسوا مع
الله الأمر . لذا أصبحت الصلاة عادة لا عبادة .

(التوحيد وعدم الشرك بالله)

حينما تتجمع الأفكار في صدر الإنسان فإنه يحاول أن يضعها في ألفاظ هي قوالب للمعاني . وهل المقصود الألفاظ أم المعاني ؟ !

لاشك أن المقصود المعاني . . ومعلوم أن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم كان دائماً يتلقى الوحي من سيدنا جبريل عليه السلام . ومن أعظم ما مَنَّ الله به علي عباده المؤمنين أن جعل الرسول عليه الصلاة والسلام بشراً رسولاً : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) هذا التدرج الذي نزل به القرآن الكريم في النزول علي قلب الرسول عليه الصلاة والسلام ثم نقل القرآن إلينا جعل تلقي القرآن علي الصحابة والمسلمين أمراً مسوراً ، لأننا حينما نسمع ما كان يجده صلي الله عليه وسلم من مكابدة ومشقة ساعة تلقيه كتاب ربه الكريم . وما كان يتفصد به جبينه من عرق ، وهذا الثقل الذي يطرأ علي جسده الشريف ، كل هذه أمور تجعلنا ندرك حكمة العليّ الكبير ، و نُوَقِّن بِمَدِي رَحْمَتِهِ بَعَادَهُ

الضعفاء ، و نعتقد اعتقاداً جازماً أن تحمل الرسول صلى
الله عليه وسلم نزول القرآن عليه كان آية ومعجزة .

لقد أنزل الله القرآن الكريم ، ليربطنا به عز وجل . والآية
الكريمة تشير إلى هذا (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) ونزل أيضاً ليربطنا بسيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) . ففي الآية الأولى في قوله تعالى
(**فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا**) ارتباط أيضاً برسول الله صلى الله عليه
وسلم . لأن العمل الصالح لن يكون صالحاً إلا إذا كان علي
منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي الآية الثانية : (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**) أمر بالتأسي
بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . واقرأوا إن شئتم قول
الحق (**وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ**) لتدركوا ثمرة الطاعة لله ولرسوله حيث جمع بين
الطاعتين . ثم جعل الخشية والتقوى لله وحده وهذا هو
التوحيد الذي تثمرة تلك الطاعة .

لا ننسى أن نبين أيضاً أن العمل الصالح لا يكون صالحاً إلا إذا كان مجرداً من الأغيار • ولم ينس الشيخ رحمه الله أن يبرز لنا قضية هامة وهي أن العمل من أجل الناس شرك • وترك العمل من أجل الناس شرك ، فالخوف من الرياء رياء !!
وبين أن الشرك قد يدق حتى يكون أخفى من ديب النملة
كما بين الحديث الشريف !

والشرك أنواع : شرك في العقيدة كأن يجعل لله نداً وهذا أشد أنواع الشرك • بل هو الذي قال فيه المولي عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ،
والشرك الثاني : الشرك في العمل • وهو أقل رتبة وأخف إثماً من الأول •

والشرك الثالث : الشرك في تطبيق الأحكام الشرعية بمعنى أن يعرف المسلم الأحكام الشرعية جيداً ولكنه أثناء عمله لا يؤدي هذا العمل علي الصورة التي طلبها الشارع • ومثال ذلك : أن نطلب من أحد المسلمين أن يبين لإخوانه كيف كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدي الصلاة ؟ حينما يوضح الصورة يوضحها نظرياً كما هو

مطلوب : لكنه لا يحاول إذا ما أراد أن يصلي فإنه يؤدي
صلاته علي وجه لا يُرضي الله ورسوله . بل سرعة في العمل ،
وعدم خشية لله . ومن هذا القبيل ما قاله سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأحد المسلمين حينما رآه لا يحسن
الصلاة . ماذا قال له ؟؟

قال له عليه السلام (ارجع فصل فإنك لم تصل) !
ولنعد إلي قول الله تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) .

لنري أن الآية بينت أن أهم ما يطالب به المؤمن إنما هو توحيد
الله .

ثم تأتي سورة الإخلاص لتغرس هذه العقيدة في قلب كل مؤمن
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . وهذا التوحيد الذي ذكر في الآية الكريمة ،

وفي السورة الشريفة خاص بالعقيدة : أما سورة الكافرون :
(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) .

فإنها تمثل التوحيد في العمل • ونحن نعلم أن للرسول السابقين رسالات نزلت من السماء ، وكتباً خاصة بهم • وأنا كمؤمن مكلف بأن أعمل علي سنة الرسول محمد صلي الله عليه وسلم وطريقته • وهذا معني توحيد الرسول أي أن الرسول محمداً صلي الله عليه وسلم أرسله ربه للبشرية جمعاء ولذلك أشرك من أشرك لعدم إيمانه واتباعه لله صلي الله عليه وسلم •

ومما من الله به علي عباده المسلمين أنه فرض عليهم مع إيمانهم بالرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤمنوا بمن سبق من الرسل عليهم السلام (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِئَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) فالحمد لله الذي اختار لنا الإسلام ديناً وجعله الدين الخاتم •

ولما سئل سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن معني قوله عز وجل في فاتحة الكتاب (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) بين سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن المغضوب عليهم هم

اليهود ، وأن الضالين هم النصارى : وخصهم عليه الصلاة والسلام بالذكر ، لأنهم يشاركون المسلمين في أنهم أهل كتاب وسكت الرسول عليه الصلاة والسلام عن الملاحدة غيرهم من الملل الأخرى ، لأن النار مؤكدة في حقهم جميعاً .
أول هذا تحذير للمسلم ، لأن اليهود والنصارى كان مصيرهم إلى النار لأنهم لم يؤمنوا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كانوا قد آمنوا باليوم الآخر . فكل مسلم ينهج نهجهم ولم يعمل بشريعة الله علي طريقة رسول الله لمصيره النار . قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فتوحيد الرسول عليه الصلاة والسلام في الاتباع والاقتداء إلى الإيمان .

وهناك توحيد آخر مهم هو توحيد الحياة ، ومعني توحيد الحياة أن الحياة التي يحياها الإنسان تنقسم إلى قسمين : جزء منها هنا وهو الدنيا بما فيها من عمل ، وكد ، وسعي علي الأرزاق والجزء الثاني . حياة الآخرة التي يكون فيها الخلود . وهي مبنية علي الحياة الأولى ، ومرتبة عليها . و الدليل علي هذا هو قول المولي عز وجل : (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فلو أحسنا الأعمال هنا في دنيانا ، وأدينا
التكاليف علي الوجه الذي يرتضيه ربنا لكان مصيرنا بمشيئة
الله الجنة . و هذا هو الأمل الذي ينشده كل مسلم . و هذه
هي الحياة الحقة التي أشار إليها الله في كتابه العزيز بقوله
سبحانه (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) !
ونحن إلي الآن لم نصل إلي درجة الاقتناع بالآخرة ، لأننا
مرتبطون بالدنيا ، و متمسكون بها مصداقاً لقول الله عز
وجل : (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)
ويقول سبحانه في آية أخرى أكثر بياناً للتعلق بالدنيا (كَلَّا بَلْ
تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) !!

هذا ولا زلنا مع قول الحق : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ)
فعلي كل من يريد أن يتحقق بالآية الكريمة أن يلتجئ إلي الله
بالكلية ، ومعني هذا أن ينقطع عن كل ما سواه ، كما علي
المؤمن أن يؤقن بأن الله سبحانه هو المالك لكل شيء (لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لا ينازعه أحد في ملكه . فملكية
الإنسان لمزله مِنْكِئَةٍ مجازية ، و الأرض و المال مستخلف فيه .

(وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخَانِينَ فِيهِ) (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) •

هذا ولنتأمل قصة لبعض الصالحين كان ذات مرة يسير فقابلته
امرأة فسألته • يا سيدي الشيخ : أين الحلـه ، يعني أين
الطريق الذي يوصلني إلى المساكن ؟ فقال : ماذا تقصدين ؟
المساكن العامرة أم الخربة ؟ • فقالت : العامرة - فأشار إلى
طريق المقابر فقالت عجباً يا سيدي أسألك عن المساكن العامرة
فتشير إلى طريق المقابر • فقال يا بني أنا رجل كبر سني
ومن يوم أن أدركت الدنيا وعشت فيها ما وجدت شخصاً
عمر هنا بل كل الناس منذ ماتوا لم يتركوا مقابرهم • وهم
بهذا عمروا ما سكنوا أما هؤلاء الأحياء فإنهم يموتون
فتخرب بهذا بيوتهم ففهمت المرأة مراد الشيخ و علمت
مقدار يقينه حيث آمن بأن هذه الدنيا ليست بدار قرار فـقوة
هـقيدة الشيخ جعلته لم ينطق ولو بكلمة واحدة يقر فيها بأن
الدنيا دار قرار لأنه حينئذ يكون مخالفاً للنص القرآني •

ولقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ثم
يجلس للاستغفار للتقصير ، لأن صلاة أي مصل ولو علي

اعلي مستوى لن تصل إلي مستوى كمال الأمر وهو الله عز وجل .

والله يقول : (يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ) الله عز وجل كامل : والأمر الصادر من الكامل كامل ، وأنا العبد ناقص ، وعملي أكثر نقصاً (فأية عبادة تصدر من المسلم يجب أن يقدمها لخالقه في

طبق الانكسار والاعتذار)

ولذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول عقب العمل : (الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وقوله عليه الصلاة والسلام (لهذا) : الإشارة إلى عمل وقع : و انظروا دقة التعبير في الحديث حيث قدم الإثبات وهو قوله عليه الصلاة والسلام : (هدانا لهذا) : فالعمل إثبت ثم جاء النفي بعد هذا في قوله عليه الصلاة والسلام : (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) النفي هنا متأخر (وما كنا لنهتدي) عكس قولنا (لا إله إلا الله) : فالنفي في الجملة هنا سابق لأنك تنفي النفي وهو عدم الإله ، لأنه لا يوجد إله حقيقة : لكنه ربما يكون في تصور بعض البشر وهذا التصور خطأ في الواقع و الحقيقة لذا قدم النفي في الجملة . فالله سبحانه غيب

وهو يطلب مني أن أنفي كل إله يحول بيني وبين عبادته -
تعالى - .

في حديثه عليه الصلاة والسلام العمل حاصل وسابق : لذا
قدم الإثبات في قوله عليه السلام (هَذَا لِهَذَا) فكان من
الترتيب الطبيعي أن يأتي النفي ليؤكد الحقيقة وهي أنه
لا موفق ، ولا هادي ، ولا موجد للعمل الصالح إلا هو
سبحانه وتعالى .

أما في كلمة الشهادة فلا بد أن يؤكد نفي المعدوم . ثم بعد
هذا نقر بوجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته .

إذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام وهو المرسل من ربه
والموحي إليه بقرآنه يقول هذا بعد كل صلاة . فماذا نقول
إذا ونحن العبيد الضعفاء ؟

هذا ، وقول الحق تبارك وتعالى (أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ)
الآية الكريمة تفيد تعدد الآلهة عند بعض البشر وتعدد
الآلهة لأن لكل قوم ولكل إنسان معبوداً خاصاً . والقاعدة
والحقيقة التي يقررها الشرع هي أن (كل ما حال بينك وبين
الله فهو وثن) .

ونحن في عصرنا هذا لا نعبد حجراً ولا وثناً ، ولكن حديث الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (**مدمن خمر كعابد وثن**) بعض المفسرين يقولون لا يوجد نص في القرآن ما يدل علي تحريم الخمر ، ولكن المعروف عند علماء الشريعة أن شرب الخمر أخطر من التحريم ، لأن الشرك فوق الحرام ولذلك فالحديث الشريف رفع الخمر إلى مستوى الشرك .

انظروا إلي قول الحق : (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْغَنَازِ** .. الآية) ونحن نعلم علم اليقين أن أقل الشرك يبطل العمل : (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) صدق الله العظيم .

ولذلك ورد أن رجلاً دخل النار بذبابة ، لأنه مر علي قرية يريد أن يدخلها لقضاء مصالحه فطلب منه أن يتقرب إلي معبود هذه القرية فأعلمهم أنه لا يملك شيئاً فقبل له تقرب ولو بذبابة . فتقرب بذبابة : و الرجل الآخر رفض أن يتقدم أو يتقرب إلي المعبود بأي شيء وامتنع فقتلوه فدخل الجنة .

أما الشرك بالنسبة لنا كمؤمنين • هو أن تشترك مع الله في عمل فلا تري الله فاعلا • بل تري أنك أنت الذي فعلت وأوجدت • ولذلك قال سادتنا العلماء :

التوبة ثلاثة أنواع : توبة من الذلّات ، توبة من الغفلات ، وتوبة من رؤية الحسنات •

واستدل الشيخ رحمه الله بقول الله تعالى : (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) فهو بهذا قدر أي نفسه ، ولو رأي الحقيقة و الواقع لقال ربي ابتلاني ، لما يترتب علي وجود النعم من تبعات وابتلاءات : ومعني هذا أنه قال أنا استحق هذا التكريم ولو كان مؤمنا حقاً لقال كما قال نبي الله سيدنا سليمان عليه السلام (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) •

فالإيمان الحقيقي : ألا يشرك بعبادة ربه أحدا ، الإيمان الحقيقي واضح في قول الحق : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) • وقول الحق (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) إشارة أخرى إلي أن هناك معبودات أخرى لكنها ما وصلت ، ولن تصل إلي حقيقة الوجود لأنها أوهام باطلة •

وقول الحق (**إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ**) أين المقابل ؟ المقابل هو قول الحق : (**اُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) وهذا هو الباعث فالله سبحانه لم يفرض العبادات ولن ينظر إلي ذات العبادة • بل لابد أن يكون هناك باعث ، وإلا لم يعتد بها (**حُنَفَاءُ**) أي لا يميلون إلي باطل • رقول الحق : (**وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ**) علي ضوء الأوصاف السابقة (**وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ**) أي لا يلتفت إلي ما سوى ذلك : **وهذا يدل علي أن الشرك يأتي دائماً في الطاعات** واستمعوا إلي قول الحق في آية أخرى (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**) أي عليك يا محمد أن ترعي هؤلاء لأنهم هم العلماء الذين سينتشر الدين علي أيديهم •

وتلك طبيعة الحياة إلي يومنا هذا • فنحن لا نتوقع أن يحضر إلي درسنا هذا محافظ أو وزير لأن أمثالهما من الطبقة الخاصة المتعالية وهؤلاء الكفار كانوا قد طلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون لهم مجلس خاص لا يحضره الفقراء أمثال بلال وصهيب وغيرهما وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حريص علي نشر الدعوة • لكن الحق السميع

البصير أنزل آياته علي قلب رسوله منصفة للفقراء داعية
الرسول عليه الصلاة والسلام إلي شدة عنايته بهم • ولقد
كان لهذا الإنصاف الإلهي أثره الكبير في إقامة دعائم
العدالة والحق والدين •

والآية أثبتت أن هناك إرادة للعبادة وإرادة أخرى لمواصلة
العبادة ، ولم يمدحهم الله بهاتين الإرادتين • لكنه مدحهم
بإخلاص في قوله سبحانه (يريدون وجهه) لأنهم عبدوه
علي منهج سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم و علي
طريقته وكل من لم يعبد الله علي هذه الطريقة يكون مشركاً
كما سبق أن وضعنا وقلنا وسنظل نقول أن كل ما حال
بينك وبين الله فهو وثن • و الله لا يقبل إلا كل ما كان خالصاً
لوجهه الكريم • ومثل هذا يكون شرك العمل •

كما قلنا سابقاً : إن شرك القلب أربعة :

(١) أن تجعل لله نداً وهو أخطر أنواع الشرك •

(٢) الإصرار علي المعاصي لأن من أصر علي المعاصي فقد ألغي

بإصراره التكاليف الشرعية •

٣) اليأس من رحمة الله وهو بهذا ألغى صفات الجمال التي بمقتضاها خلق الله الجنة .

٤) الأمن من مكر الله . لأنه بهذا ألغى صفات الجلال التي بمقتضاها خلق الله النار .

فالرسول عليه الصلاة والسلام أمام عرضين : العرض الأول الفئة الأولى يطلبون العبادة لوجه الله . العرض الثاني الفئة الثانية فئة تطلب العبادة لصالحها الدنيوي : ومن يقرأ الآية علي ظاهرها يدرك خطورة إسناد إرادة الدنيا إلي الرسول عليه السلام في قوله عز وجل (**تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) في هذا التعبير القرآني العظيم . كشف الله أمرهم ، وفضح نواياهم ، لأنهم بهذا الطلب لا يريدون إلا الدنيا ، ومحال أن يوجد من رسول الله صلي الله عليه وسلم أدنى رغبة للاستجابة لهؤلاء القوم وإنما تمضي الآية بعد محقرة لهؤلاء القوم ، منفرة للقرب منهم بقول الحق عز وجل (**وَلَا تُطِغْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**) فالحق بهذا سبحانه منع الرسول عليه الصلاة والسلام من تحقيق

إرادتهم • وفي أثناء هذا الحديث تقدم من سأل وقال :
وجود الشيطان خير أم شر ؟

فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله : إذا آمن المؤمن بما وصف الله به
الشيطان فذلك خير وضرب مثلاً لذلك فقال : لو أن فتاة
قابلتك في طريق ما وحدثك الشيطان بالنظر إليها كي تتمتع
بجمالها • لكنك تذكرت قول الله تعالى (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) فغضضت بصرك : ألا تكتب لك حسنة ؟
قال نعم • هنا يكون خيراً لأن مخالفته ذكرتك الله فحفظك
الله من الوقوع في الإثم بفضل إيمانك بقول الله سبحانه
(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) •

وبعد هذا تعرض الشيخ لقول الله سبحانه (رب المشرقين ورب
المغربين) من الناحية الجغرافية فقال مشرقى الصيف ،
والشتاء وتعرض لمعني آخر قال إن السورة تكلمت علي
الإنسان ثم بينت قدرة الحق عز وجل وبينت أن هناك فيضاً
بانيا بالنسبة للإنسان حينما تجلي بنوره علي المخلوقات وهي
عالم الذر وخاطبهم بقوله سبحانه وتعالى (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟)
الإشراق الثاني بعد الخلق والإيجاد ثم استدل بالآية الكريمة

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ . . الآية) .

ورب المغربين لأن الإنسان لا بد أن ينتهي إلى نهايته بالموت
ثم بالجزاء في الآخرة وهو يمثل الغروب الثاني لأنه نهاية
المطاف للإنسان .

وقول الحق (رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) علي التفسير الجغرافي أمر
سهل ميسور لكل بلد مشرق . فشروق الشمس هنا
في منوف يختلف عن وقت شروقها في طنطا و القاهرة
وأسوان . وهكذا المغرب . ومثل هذه التفسيرات
وإن أشارت إلى القدرة الإلهية إلا أن تفسير المشارق بمعني
آخر يفيدنا ولذا يقول الشيخ : إن الحق سبحانه يحيط
بالكون وهو سبحانه وتعالى الذي استوى علي العرش بصفته .
فالله سبحانه وتعالى غير مقيد بمشارقنا ومغربنا وهو بأسمائه
الحسني مسيطر علي العوالم التي ليس بها مشارق ومغارب .
كما أنه بقدرته مسيطر علي الأماكن التي بها المشارق
والمغرب ، لأنه رب كل شئ ومليكه وبهذا التفسير

نستطيع أن نرى قدرة الله ونلمسها في الأضداد أكثر لأن
لأسماء الله الحسني مفعولات .

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) لا زالت الآيات تشير إلى عظم
قدرته ، وصنع حكمته في إيجاد الأضداد . وتسخير كل شئ
وفق إرادته .

وانظروا إلى الربط القرآني حيث ربط بين الأضداد في البداية
التي ظهرت في إيجاد الإنسان . وكيف أنه مخلوق من صلصال
كالفخار و الشيطان الذي خلقه الله من نار ومع توفيق الله
ينتفع المؤمن من وجود الشيطان كما بينا سابقا وهكذا الشأن
في قوله عز وجل (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا
يَبْغِيَانِ) والآيتان تشيران إلى عظم القدرة في هذا حتى يتبين
للإنسان المعاند مدى قدرة الحق ، وأن من قدر علي تسخير
كل المخلوقات وفق قدرته وإرادته فلن يعجزه البعث بعد
الموت . وسبحان من يقول للشيء (كُنْ فَيَكُونُ) .

(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) ظاهر التفسير
أن المراد بها السفن التي تجري فوق المياه وهي بضخامتها
كالجبال : ولكي نستفيد من هذه الآيات نقول : إن الحق

سبحانه بين لنا في بداية السورة كيف خلق الإنسان • وكيف خلق الشيطان ، والتباعد كبير وكبير بين المادة التي خلق منها الإنسان ، وبين ما خلق منها الشيطان • وبين أن الشمس والقمر يجريان بحسبان • وبينت الآيات كيف أنه رفع السماء بغير عمد ، وخلق الأرض ممهدة كي تقوم عليها حياة بني الإنسان ثم بعد هذا كله قال الحق (**وَلَهُ الْجَوَارِ**) •

تشبيه تمثيلي فكأن الكون كله بسماؤه وأرضه ، وبحاره وجباله وشمسه وقمره ، وإنسه وجنّه • كل هذا • أي أن هذا الكون كله أشبه شئ بالسفينة ولكل سفينة مرسى : حتى لو غرقت فإن مرساها قاع البحر • وبما أن لكل سفينة مرسى ونهاية فكهذا الدنيا لا بد لها من نهاية ولـهذا جاءت الآية (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**) هذا هو المرسى الأخير حتى ينتهي كل شئ كالعدم •

وهنا سأل سائل آخر • ما معنى قول الحق (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**) ؟

فقال - رضي الله عنه ورحمه - كي يفلح الإنسان لابد له من
الإيمان: فالإيمان بهذا شرط أساسي ومن أجل هذا وصل
الصحابة إلى الحقائق بداية فوحدوا الله وعظموه ، وكفروا بكل
ما عداه ، ووحدوا الرسول صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ،
ولم يلتفتوا إلى منهج غير منهجه . مع إيمانهم بما قبله عليه
الصلاة والسلام من رسل . وهم بهذا وحدوا الرسول
عليه الصلاة والسلام في العمل ، ووحدوا الله في العبادة
وإن كانت الصلاة لم تفرض بعد ، وكذا الصيام فهم بهذا
دخلوا الدين بالإيمان قبل الإسلام ، لأنهم اعتقدوا ثم عملوا
لهذا بدأوا من القمة أولاً ، أما نحن فعكس هذا حيث بدأنا
بالأعمال مع قلتها وضعفها ، ولهذا حض الرسول عليه
الصلاة والسلام علي اتباعهم ، علماً بأن كل العبادات تنتهي
هنا إلي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)
انظروا إلي الآذان وكلماته (الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن
لا إله إلا الله . أشهد أن محمداً رسول الله . حي علي الصلاة .
حي علي الصلاة . حي علي الفلاح . حي علي الفلاح .
الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله) الله أكبر لم تنتخبه ،

ولم تعينه • بل هو بذاته أكبر من كل شئ •
وعندما تقول الله أكبر قد نتوهم أنك ذكرته • فلتعلم أيها
المؤمن أن الله أكبر من قولك الله أكبر • وأشهد أن لا إله إلا الله
هذا هو الإقرار الذي ستعمل بمقتضاه • ومن الذي علمني
هذا ؟ أنا أرسلت إليك رسولاً وهو سيدنا محمد صلي الله
عليه وسلم • وأشهد أن محمداً رسول الله ، لأن العمل دائم •
ثم انظروا رحمكم الله إلي قولنا (حي علي الصلاة) قوة الدفع
التي توحى بها الكلمة ، لأن مقتضى الإقرار بقولك
(الله أكبر) وبقولك أشهد أن محمداً رسول الله • بين الثمرة
التي تعود علي المؤمن من اتباع الرسول عليه الصلاة
و السلام • تأتي الصلاة في مقدمة الأعمال المطلوبة في
الإسلام : ثم تأتي عبارة (حي علي الفلاح) دعوة إلى الخير
العام الناجم عن اتباع سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم
وبهنا نذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام (إذا سمعتم
المؤذن يؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن ثم صلوا علي)
لكن عند قول المؤذن حي علي الصلاة ، حي علي الفلاح •
تذكرة للمؤمن ، وتنبه بأن الصلاة التي ستؤديها أنت

واشتركت فيها : اعلم أن توفيقك من الله وحده لأنه هو
الذي خلقك ، وهو الذي وفقك وأعانك . فحذار أيها
المؤمن أن تري نفسك فاعلاً . اسقط عملك ، واشهد بفضل
ربك عليك وتجرد من حولك وقوتك إلى حول الله ولونه
فلا شأن لك ولماذا كانت حي علي الفلاح الثانية . ليس
الفلاح مقترناً بالصلاة إنما الصلاة عمل يؤدي لـ **كن الفلاح**
من الله وحده . فلا تكون الصلاة تلقائياً إنما الفلاح إذا **قبل**
الله عملك . الله أكبر الثانية اعتذار كأنك تقول يا رب
ما عرفتكم إلا بعد شهود : ثم ضرب مثلاً . لو أخبرتك بأن
فلاناً رجل عظيم وأنت تعلم صدقي : قطعاً ستصدقني لي
قولي . لكنك بعد معاشرتكم له ، وملازمة صحبته ستري
يقيناً بعد هذه المخالطة أنه عظيم . والله المثل الأعلى الفرق
واضح وكبير جداً بين بداية قولك (**الله أكبر**) وبعد سلوكك
الطريق إلى الله . وبعد تجردك في عبادتك ، وبعد إخلاصك في
عملك ستقول الله أكبر عن مشاهدة ، وعن يقين لا يعلوه
يقين . فمن هنا جاء الاعتذار عما قلت أولاً ، لأنك عشت
أيها المؤمن في جو حقيقته (**الله أكبر**) حيث خالط الإيمان

للله و انشروا له نفسك ، وأذاقك الله لذة الإيمان به .
فقلت عن يقين : الله أكبر بعد هذه الرحلة الطويلة في درب
الإيمان لا بد أن تعيش في جو لا إله إلا الله . دون أن تقول :
أشهد أنك دخلت الصراط المستقيم وأصبحت ممن يقول
الله في حقه : (**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**) ثم قال
بعد هذا إن من يريد الالتحاق بأية وظيفة حكومية فعليه
أن يقدم إلى الجهات المسئولة بالشهادة الدراسية الأخيرة التي
يقرر عليها الأجر حتى يوضع في الشريحة المناسبة له .

وحينما قال الحق وبين الفلاح وأكدده قال عز من قائل (**قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ
هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . . .** الآيات) فمن هم المؤمنون
المستحقون للفلاح ؟ هم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ،
ورسله ، و اليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره ، حلوه
ومره : هؤلاء هم الذين تتزل عليهم السكينة من ربهم
حسب مراتب إيمانهم . فلا بد للمؤمن حينما يقبل علي
الصلاة . أن يكون مع الله مشاهدة . ومع سيدنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم اتباعاً واقتداء ، ومع الرسل إيماناً ومع

الملائكة شهوداً (كَرَاماً كَاتِبِينَ) ومع اليوم الآخر شهوداً كما
بين سيدنا حارثة . ولذلك لابد من اصطحاب هذه الإيمانيات
كلها قبل الدخول في الصلاة ، أما بعد الدخول فهو أن يعيش
في جو فاتحة الكتاب : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ . مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ) بهذا يحصل المؤمن علي
الخشوع في صلاته . ولذا كما قلنا حينما يعيش المؤمن في
هذا الخشوع يكون قد حصل علي مراتب الدين : الإسلام
الممثل في أدائه لحركات الصلاة والإيمان الذي هو عبارة عن
الإقرار . الإقرار باللسان مع مواطاة القلب : والإحسان
الذي هو الشهود . الإسلام يربط المؤمن بالرسول عليه
صلوات الله وأزكي تسليماته . فأنا أركع كما كان يركع ،
وأسجد كما كان يسجد . الإيمان يربط المؤمن بالله .
الإحسان مشاهدة صفات جماله . و جلاله وضرب المثل مع
الشيخ ومريديه والسمان الذي أمرهم بذبحه و تقدم ذكر
هذه القصة في كتيب سابق .

فلو علم المسلم أنه يصلي لله ، وأنه أمام خالقه ، وأن الله يراه
ومطلع عليه . لزاد يقينه ولكننا هذه الأيام نحن في صلاتنا مع

الأمر لا مع الأمر ولهذا أصبحت الصلاة عادة ، وليست
عبادة •

واللغو في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)
يوضح هذا قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وقوله عليه
السلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر • فليقل خيراً
أو ليصمت) •

وما أعظم أن نختتم هذا العمل بما ختم به سيد الخلق عليه أفضل
صلوات ربي وأجلّ تسليماته •

(الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله)

ذي القعدة ١٤٢٥ هـ

ديسمبر ٢٠٠٤ م